نشاط ....

شغلت الصحف كثيرًا من أعمدتها فى هذه الأيام الأخيرة بمقابلات وأحاديث كان محور النشاط فيها حضرة صاحب المجد النبيل عباس حليم. ونشاط نبالته موجه إلى السعى لضم الصفوف. والحديث عن ضم الصفوف فى ذاته محبب إلى النفوس وله نغمة شجية قد يطرب لها السامعون.

لكن يخيل إلىَّ أنَّ الأمور لا تعالج هكذا فى سهولةٍ ويسرٍ ولا تؤخذ مشاكلنا بالمفاجأة العجيبة. فلا بد للناس أولًا من أن يشعروا بأنَّ الصفوف مفككة. وأن يفهموا الدوافع إلى هذا السعى. وأن يتحسسوا الملابسات ويتبينوا ما عند نبالة الساعى من رأى وفكرة وما يرمى إليه من هدفٍ.

أيريد نبالته ضم الصفوف حول الأهداف القومية وهى قد انعقد عليها الإجماع فى يوم 8 أكتوبر الماضى.. فأعلنت مصر على مشهد من العالم أجمع إلغاء المعاهدة واتفاقيتى الحكم الثنائى، وأصدر البرلمان القوانين اللازمة لذلك، وهى قد توجت باسم صاحب العرش جلالة الملك المعظم. إنَّ العودة إلى الكلام عن هذا الذى انعقد عليه إجماع المصريين فيه تشكيك لذلك الإجماع الرائع الذى بهر العالم كله، لهذا لا أظن أنَّ صاحب المجد النبيل يريد أن تنضم الصفوف لتحديد الأهداف القومية، فهذا أمر قد تم وانتهى على أكمل صورة وأروع مظهر.

ومنذ يوم 8 أكتوبر الماضى لم يتردد أحد من المصريين ولم يتخلف عن الركب إنسان فليس فى مصر هيئة ولا حزب ولا فرد إلى هذه اللحظة نادى أو ينادى بما دون الأهداف القومية التى تحددت بالجلاء والوحدة.

وفى أعقاب يوم 8 أكتوبر اتجهت البلاد نحو الكفاح وتطورت الظروف إلى أن وقعت حوادث 26 يناير الماضى فتوقفت حركة الكفاح نتيجة لتلك الظروف القاهرة لكن الذين تولوا الحكم بعد أن أعفيت وزارة الوفد منه تمسكوا بأهداف البلاد فلم يستطع أحد أن يحيد عنها شعرة، فالإجماع منعقد ولايزال منعقدًا والصفوف عند هذا الهدف متراصة مضمومة، ولن يجرؤ مصرى كائنًا من كان أن يعارض هذا الإجماع، بل إنَّ هذا المصرى غير موجود، وإذا افترض وجوده فهو لن يجرؤ على الظهور.

ترى هل يراد ضم الصفوف لما قد يأتى به المستقبل؟ فما هو هذا الذى سيحمله المستقبل إلى المصريين؟ لا يعرفه أحد. فهل يراد توحيد الكلمة على مجهولٍ، إذن يكون الأمر غريبًا ويكون المسمى أغرب.

إنَّ رفعة رئيس الوزراء وندعو له دائمًا بالتوفيق لم يستطع أن يقول إلا أنه يسعى إلى خير بلاده بكل ما وسعه الجهد وأنه معتزم فى النهاية أن يعرض الأمر على البرلمان ليقضى فيه بما يراه.

ولست أشك فى أنَّ رفعة رئيس الوزراء يوم يعرض شيئًا فإنه لن يعرض إلا ما يرى هو أولًا أنه يرضى مواطنيه قد يقال ربما يختلف النظر والتقدير، وهذا جائز لكن مادام الأمر للبرلمان والكلمة الأخيرة للبلاد ففيم يراد أن ترتبط الأحزاب والهيئات ولم يتقيد الناس من الآن.

وحضرة صاحب المجد النبيل يعلم عن يقين أنَّ هناك تباينًا بين القلة والكثرة فى شئون داخلية لها خطرها. وأقصد بذلك نظرة هؤلاء وأولئك إلى الحياة النيابية والدستور وقانون الانتخاب، فالقلة لم تعبأ بتعطيل الحياة النيابية ولم تكترث بالدستور ولا بقانون الانتخاب، بل إنها كانت تحرض دولة رئيس الوزارة السابقة على هذا كله، فهل يراد ضم الصفوف فى هذه الشئون؟ هل يراد أن تتآمر الكثرة مع القلة على الحياة النيابية وعلى الدستور وتهدر رسالتها فى الأمة لا أظن أنَّ صاحب

المجد النبيل يسعى إلى ذلك أو يطمع فيه، فالكثرة لن تنبئ عن المطالبة والإلحاح فى عودة الحياة النيابية وفى احترام الدستور وقوانين البلاد. فإذا كان حضرة صاحب المجد النبيل مؤمنًا بوجهة نظر الكثرة فى هذه الشئون الداخلية الخطيرة فليتفضل بإقناع القلة. وإن كان الأمر عكس ذلك فهل يظل نبالته أنَّ أحدًا فى الدنيا مهما سما مركزه يستطيع أنَّ يحمل الكثرة على التهاون أو التساهل. وليس الأمر أنَّ الكثرة متعنتة. ولكن الأمر أن الكثرة بقدر ما هى حريصة على أهداف البلاد القومية فهى حريصة على حقوق الشعب البرلمانية والدستورية.

ولعلَّ لنبالته رأيًا وسطًا، فهو يريد من مساعيه أن يصل إلى اتفاق أو شبه اتفاق تسوى به الأمور إذا قرب يوم الانتخابات فتوزع المقاعد مثلًا بين الأحزاب والهيئات، ذلك لأنَّ الناس يؤمنون بأنَّ رفعة سرى باشا له سوابق فى النزاهة، ونزاهة الانتخابات خطيرة على القلة لأنَّ معناها أن تفوز الكثرة بالأغلبية الساحقة. ويراد بهذه المساعى أن تنتهى الأمور إلى حل أيًا كان. فإذا كان هذا هو الغرض فإننى أصارح نبالته كشيخ وفدى أنَّ كل اتفاق على المقاعد جريمة فى حق الدستور وحق الشعب. وتجارب الماضى كافية لإقناع كل مواطن بأنَّ مثل هذه الاتفاقات عبث لا يمت إلى الدستور بسبب. وتلفيق لإرادة الشعب التى يجب أن تظهر واضحة جلية بطريقة واحدة لا ثانى لها وهى الانتخابات الحرة النزيهة.

يعلم الله أننى لم أكن أود لحضرة صاحب المجد النبيل أن يزج بنفسه فى هذا الميدان السياسى، وكان حريًا به أن يبتعد عما يضطر الناس إلى الأخذ والرد معه ولكن نبالته هو الذى أراد لنفسه هذا الوضع.

ألا ليعلم من شاء أن يعلم أنَّ مصلحة البلاد تقتضيها أن ترقب الحوادث فى يقظة وانتباه حتى إذا حمل لها المستقبل شيئًا لا يزال الغيب يحجبه بحثته فى هدوءٍ وحكمةٍ واتزانٍ.

وأبدى كل حزب وجهة نظره فيه ليبين للأمة الحلال من الحرام فتقضى فى أمورها عن بينة بعد البحث والتمحيص التام.